العراقية
المجلات الاكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals
Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIne)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

الاستفهام في ديوان الخُبزَ أرزي(ت ٣٣٠هـ) دراسة بلاغية

م. د. محمد حمد حمادي

المديرية العامة لتربية صلاح الدين- قسم تربية الطوز-الكلية التربوية المفتوحة-

Interrogation in the Diwan of Al-Khubzaruzzi (d. 330 AH): A Rhetorical Study

Dr- MOHAMMED HAMAD HAMMADI
General Directorate of Education of Salah al-Din - Tuz Education Department - Open Educational College – Iraq
Email: mamfite8301@gmail.com
Coresponding Author: 0009-0009-1154-1789

الملخص

قد شكّل أسلوب الاستفهام محور اهتمام النحاة والبلاغيين على السواء؛ غير أنّ معالجة النحاة له جاءت في مواضع متفرقة دون أن يُخصّصوا له بابًا جامعًا، إذ انصبّ جلّ اهتمامهم على دراسة همزة الاستفهام ومواضعها، ومقارنتها بأداة هل وما بينهما من فروق. أمّا البلاغيون فقد أولوه عناية خاصة، فأفردوا له فصلًا مستقلًا ضمن أبواب الإنشاء الطلبي في علم المعاني، متقصّين أدواته ومعانيه وأغراضه البلاغية التي تتجاوز دلالته الأصلية في طلب الفهم إلى معانٍ مجازية تتسق مع مقصد المتكلم وسياق الخطاب.وينطلق هذا البحث من دراسة أسلوب الاستفهام في ديوان الشاعر الخُبزَ أُرزِي، الذي تميّز شعره بالبساطة والوضوح مع عمق في المعنى وتنوع في الأغراض، ، وكان للاستفهام حضور بارز في بنيته الإبداعية. ولا يقتصر هذا الأسلوب في شعره على دلالته المباشرة المتمثلة في طلب العلم بشيء مجهول، بل يتعدّاها إلى آفاق مجازية رحبة تعبّر عن لواعج النفس وصراعاتها الداخلية، وفي مقدمتها: التقرير، والاستنكار، والتعجب، والتحسر.ويهدف البحث إلى إبراز هذه الأبعاد البلاغية في ديوان الخُبزَ أُرزِي، مستندًا إلى آراء النقاد القدامى والمحدثين، ومعتمدًا المنهج الوصفي التحليلي في تتبّع ظاهرة الاستفهام والكشف عن دلالاتها المتنوعة، وبيان أثرها الجمالي والتأثيري في السياق الشعري للشاعر.**الكلمات المفتاحية: الخُبزَ أُرزي ، الاستفهام، البلاغة، الشعر** .

ABSTRACT

The interrogative style has long been a focal point for both grammarians and rhetoricians alike. However, the grammarians' treatment of it remained scattered across various sections without a dedicated, comprehensive chapter; their primary focus was directed toward the study of the interrogative Hamza, the particle Hal, and the functional distinctions between them. Rhetoricians, on the other hand, accorded it special attention, dedicating an independent chapter to it within the domain of "Requestive Composition" (Al-Insha' al-Talabi) in the science of semantics (Ilm al-Ma'ani). They meticulously examined its tools, meanings, and rhetorical purposes that transcend the literal request for information to reach figurative dimensions aligned with the speaker's intent and the communicative context.This research sets out to study the interrogative style in the Diwan of the poet Al-Khubzaruzzi, whose poetry is characterized by simplicity and clarity combined with profound meaning and diverse themes. The interrogative mode holds a prominent position within his creative structure. In his work, this style is not confined to its direct denotation—seeking knowledge of the unknown—but rather extends toward vast metaphorical horizons that express the soul's anxieties and internal conflicts, most notably: affirmation, denunciation, amazement, and lamentation.The study aims to highlight these rhetorical dimensions in the Diwan of Al-Khubzaruzzi, drawing upon the insights of both classical and modern critics. It employs a

descriptive-analytical approach to trace the interrogative phenomenon, uncover its diverse connotations, and demonstrate its aesthetic and emotive impact within the poet's specific literary context.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:فإن هذا البحث يتناول الاستفهام في ديوان (الخُبزَ أُرزِي) أدواته ومعانيه: دراسة بلاغية، وهذا الموضوع له أهمية كبيرة لأنه يتعلق بشاعر متميز من شعراء العصر العباسي؛ وفي دراسة شعر الخُبزَ أُرزِي عودة إلى الأصالة العاطفية والجزالة في السهل الممتنع؛ إذ تألق نجم هذا الشاعر في بيئة أدبية خصبة، فهو لا يزال في نظر كثير من النقاد نموذجاً فريداً في صياغة المقطوعة الشعرية، وفي توافر عناصرها الوجدانية الرقيقة، ومن ثم اختار الباحث هذا الشاعر الذي اشتهر بلقبه وصناعته، فكان (الخُبزَ أُرزِي) صوتاً شعرياً صادقاً في التعبير عن أحاسيسه.ولا يخفى على أحدٍ أن لأسلوب الاستفهام تأثيراً كبيراً في النصوص اللغوية؛ لأن لهذا الأسلوب أغراضاً بلاغية، وأسراراً في معانيه، ومميزات كثيرة، ولذا استحوذ على أفكار الأدباء والشعراء قديماً وحديثاً، ومن بين هؤلاء الشعراء (الخُبزَ أُرزِي)، وهو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري ، شاعر عباسي، عذب الألفاظ، رقيق الإحساس، امتاز شعره بالبساطة والوضوح مع عمق في المعنى وتنوع في الأغراض، وله ديوان شعر حفِل بفنون القول وبديع النظم، ومن ثَمَّ اختار الباحث موضوع "الاستفهام في ديوان الخُبزَ أُرزِي ، أدواته ومعانيه، دراسة بلاغية"؛ وغاية الباحث رصد المعاني البلاغية المتعلقة بهذا الأسلوب في شعره، وفهم توظيفه، وبيان أهم الخصائص البلاغية التي ميزته. **وجاء البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، جاءت على النحو الآتي:المبحث الأول: تعريف بالشاعر (الخُبزَ أُرزِي).المبحث الثاني: تعريف الاستفهام لغة واصطلاحا ، والاستفهام في الديوان.المبحث الثالث: الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام في ديوان الخُبزَ أُرزِي.**

ثم خاتمة البحث التي ضمّت أهم النتائج التي توصّلت إليها، ثم ألحقتها بقائمة الهوامش وثبتٍ بالمصادر والمراجع. أما مصادر البحث ومراجعه، فقد نهلت من مصادر عديدة أهمها: (ديوان الخُبزَ أُرزِي)، وكتب النحو والبلاغة والنقد الأدبي.ولا توجد دراسات سابقة تناولت أسلوب الاستفهام في ديوان الخبز أرزي – حسب علمي – وإن كانت هناك بعض الدراسات التي تناولت أسلوب الاستفهام في الأدب العربي بشكل عام.

وقد وجد الباحث بعض الدراسات السابقة في ديوان الخُبزَ أُرزِي، منها:-

١-شعرية التماثل في ديوان الخُبزَ أُرزِي (ت ٣٣٠هـ)) ، هدى خالد تركي المولى، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل/٢٠٢٤م.

٢- الطبيعة في شعر الخُبزَ أُرزِي دراسة تحليله، ميسر سالم خزعل ، رسالة ماجستير، جامعة ميسان/٢٠٢٢م.

٣-المؤثرات الدينية والتناص في شعر نصر بن أحمد الخُبزَ أُرزِي (ت ٣٣٠هـ))، مصطفى حسين محمد، جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالمنصورة/٢٠٠٤م.

٤-اللغة الشعبية في شعر الخُبزَ أُرزِي (ت٣٣٠هـ): دراسة معجمية، عبدالحميد شحاته عبدالحميد أنور، مجلة كلية الآداب، قنا –مصر / ٢٠٢٠م.

٥-ديوان الخُبزَ أُرزِي دراسة لغوية نحوية، صباح سعد وريوش الساعدي، رسالة ماجستير ،الجامعة المستنصرية /٢٠٠٥م.

٦-من المستدرك على ديوان الخُبزَ أُرزِي، د. محمد حسن آل ياسين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،١٩٩٢م

وأخيرا، فإن هذا البحث ثمرة اجتهاد، فما كان صوابا، فمن الله وحده، وما كان خطأ أو سهوا، فما أبرى نفسي فسبحان من له الكمال وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: تعريف بالشاعر (الخُبزَ أُرزِي).

هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري المعروف بالخُبزَ أُرزِي نزل بغداد وأقام بها دهرًا طويلا ، ولم يعرف تاريخ مولده، ولم يحدده الشاعر في ديوانه، ولم تحدده المصادر والمراجع التي ورد فيها ذكره، ولكن ورد في ديوانه بيت من الشعر يدل على أنه عاش من العمر تسعين عاما تقريبا.

ومن أين للغلمان واف ومن يكن له في التلاقي ضيف تسعين في العقد

وإذ تبيّن لي من بعض المصادر والمراجع أنه توفيَ سنة ثلاثمائة وثلاثين هـ، فقد استطعتُ تقريبَ تاريخ ميلاده إلى سنة مائتين وأربعين هـ (الخُبزَ أُرزِي، ٢٠١٥م، صفحة ١١).وذكر صاحب اليتيمة أن الخُبزَ أُرزِي كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، واتفقت معه جميع المصادر والمراجع التي تحدثت عنه، وشاعرنا لم يتلق تعليما ولا تأديبا، ولم يجالس العلماء لأخذ قواعد النحو والصرف، ومع هذا كان لا يعدو الفصحي في نظمه ومع ذلك في الديوان الذي بين أيدينا، أرى ثقافة شاعرنا في تأثره بالقرآن الكريم في بعض أبيات من شعره، وبالحديث الشريف، وبمعرفته أبياتا من الشعر العربي

الذي سبقه واقتباسه منه، وكلمات من اللغة الفارسية، وكذلك اقتباسه من الأمثلة العربية في شعره، واستخدامه لكثير من بحور الشعر المجزوءة وغير المجزوءة، والتشبيهات وغيرها مما استخدمها شعراء عصره.واتفقت جميع المصادر والمراجع التي تحدثت عن شاعرنا أنه كان خبازا يخبز الأرز بدكان له في مربد البصرة (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ١٢).أما تاريخ وفاته، فقد اختلفت المصادر في تحديد سنة بعينها، إذ نقلت ثلاثة من هذه المصادر عن بعضها لاحقاً عن سابق، وهي وفيات الأعيان لابن خلكان ومرأة الجنان لليافعي وشذرات الذهب للحنبلي، التي اتفقت على تاريخ واحد وهو سبع عشر وثلاثمائة للهجرة. ولم يقل الزركلي كيف توصل إلى ذلك؟ أو من أي استقى ذلك التاريخ؟ ويظهر أن تاريخ وفاة الشاعر الذي جاء في وفيات الأعيان، ومرأة الجنان، وشذرات الذهب، وهو سبع عشرة، وثلاثمائة للهجرة، ليس دقيقاً، لأن خبراً ورد في تاريخ بغداد، يؤكد أن الشاعر عاش بعد هذا التاريخ ثماني سنوات وذلك في أثناء حديث مؤلف تاريخ بغداد عن رواه مقطعات شعر الخبز أرزي ومن هؤلاء النوشري الذي يقول عنه وذكر النوشري أنه سمع منه من الشاعر ببغداد، باب خرسان في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة للهجرة. وذلك يعني أن الشاعر كان حياً حتى التاريخ المذكور، وهو ما يرجح أن وفاته كانت بعد ذلك التاريخ بسنوات قليلة. أي أنه يمكن حصر وفاة الشاعر في الفترة من (٣٢٧هـ) كما جاء في الأعلام إلى (٣٣٠هـ) كما جاء في النجوم الزاهرة (العتوي، ٢٠٠٤م، صفحة ٣٠٣).

المبحث الثاني : تعريف الاستفهام لغةً واصطلاحا.

الاستفهام لغة : وهو من: ((فهمت الشيء : أي عقلته وعرفته)) (ابن فارس، ١٩٧٢ م، صفحة ٧٢٢)، وهو علم الشيء (الأزهريي، ٢٠٠١م، صفحة ٣٣٥/٦) ، و((فهمه فهماً وفهماً وفهامة : عليمه)) (ابن منظور، ١٤١٤هـ، صفحة ٣٣٥/٣٩) ، (واستفهمه : سأله أن يفهمه) (أبو هلال العسكري، الصفحات ٣٩-٤٠)، أو يُخبره عنه (معلوف، ١٩٥٦م، صفحة ٥٩٨) ، ((والاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم ، أو يشك فيه)) (ابن منظور، ١٤١٤هـ، صفحة ٣٤٨١/٣٩)

التعريف الاصطلاحي للاستفهام: وهو:((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل)) ، وأدواته (مطلوب، ٢٠٠٦م، صفحة ١٠٩) الموضوعة له ، الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأتى ، ومتى وأيان (الخطيب القزويني، صفحة ١٣١/١) ، والمعاني التي تقيدها هذه الأدوات كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، وإنما يذكر العلماء منها ما يرشد إلى طريقة تفهما والوعي بها. يعد سعد الدين التفتازاني أول من أشار إلى الدلالات المجازية التي تستعمل في غير معانيها عند حديثه عن الاستفهام قائلا : (ثم ان هذه الكلمات الاستفهامية كثيراً ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجال وبيان انه من أي نوع من انواعه مما لم يحم أحد حوله) (التفتازاني، ٢٠٠١م، صفحة ٤١٩) والمعيار في اكتشاف تلك المعاني (هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب، فلا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته، أو مثال وجدته من غير أن تتخطاه، بل عليك التصرف واستعمال الرؤية) (التفتازاني، ٢٠٠١م، صفحة ٤٢٤).

الاستفهام في الديوان:

تجلّت الأساليب البلاغية في ديوان الخبز أرزي بصورةٍ لافتة، كاشفةً عن طبعٍ شعريّ رقيق وحسٍّ بيانيٍّ مرهف، فقد امتاز أسلوبه بالعذوبة واللين، مما أضفى على العبارة نسقاً جمالياً يمنح النص قوةً وتأثيراً في وجدان المتلقي، ويزخر الديوان بفنون البلاغة، وفي مقدمتها أسلوب الاستفهام؛ الذي جاء ليعبر عن خلجات الشاعر وما يضطرب في أعماقه من فكرٍ وشعور. وقد استند هذا البحث إلى اقتباس نماذج من أبياتٍ شعرية موحية، غلفها الاستفهام المجازي، وحملت في طياتها دلالاتٍ ومعانٍ ثرية.ومن المعلوم أن ألفاظ الاستفهام قد تخرج عن معناها الأصلي — وهو طلب العلم بمجهول — لتؤدي أغراضاً بلاغية ومجازية أخرى تُفهم من سياق النظم ومقتضى الحال، وهو ما يعرف بـ "المعاني المجازية للاستفهام".

المبحث الثالث: الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام في ديوان الخُبزَ أرزي:

لقد شهدت الساحة النقدية المعاصرة تراكمًا معرفيًا لافتًا في دراسة نشأة البلاغة وتطورها، حيث تضافرت الجهود في رصد هذه الظواهر ضمن المصنفات النقدية المتخصصة، أو من خلال التنقيب في بطون الأمهات الأدبية التي نثرت الدرر البلاغية في ثناياها. وبالرغم من ثراء هذه الجهود، إلا أن القراءة الفاحصة تكشف عن نزوعٍ نقديٍ ركز جلّ اهتمامه على الدواوين المشهورة والمصنفات الكبرى، في حين بقي ديوان "الخُبزَ أُرزي" بمنأى عن حظه المستحق من المساءلة النقدية والتحليل البلاغي المعمق، رغم ما يختزنه بين دفتيه من إشكالات لغوية وطاقات بيانية تستوجب التوقف والاستقراء.وعلى هدي ما سبق، يلحظ الباحث أن الدراسات التي أفردت مباحث مستقلة لـ "الاستفهام البلاغي" قد اعتنت بتأصيل هذا الفن لدى الأعلام الذين أرسوا دعائمه منذ القرون الهجرية الأولى وصولاً إلى عصور المتأخرين، بيد أن هذه الدراسات لم تنصف تجربة الخُبزَ أُرزي، ولم تتقصَّ طبيعة توظيفه للأدوات الاستفهامية، وكيفية صياغتها ضمن سياقاته الشعرية التي تمتاز بخصوصية التعبير وتفرد الأداء.أما الدراسات التي قاربت شخصية "الخُبزَ أُرزي" أو ديوانه، فقد اتسمت بندرةٍ واضحة في معالجة الظواهر البلاغية الصرفة، ولا سيما "أسلوب الاستفهام"؛

إذ غالبًا ما تأتي الإشارات إليه عابرةً، أو مشروطةً بسياقات لغوية وغرضية عامة، دون النفاذ إلى جوهر دلالاته العميقة ومراميه البلاغية الكامنة خلف بنية السؤال.

ومن هنا، تتبلور إشكالية هذا البحث عبر جملة من التساؤلات المحورية:

- إلى أي مدى استثمر الخُبزَ أُرزي طاقات أسلوب الاستفهام في تشكيل بنية ديوانه؟

-هل انزاحت الدلالات الاستفهامية لديه إلى معانٍ بلاغية مبتكرة لم تكن شائعة عند سلفه من الشعراء؟

-ما هي القيمة الفنية والجمالية لجهد الشاعر في تطويع هذا المبحث لخدمة تجربته الشعورية ورؤيته الفنية؟

إن المتأمل في ديوان الخُبزَ أُرزي يدرك أنه يفيض بالدلالات التي يتجاوز فيها الاستفهام حدود السؤال المعرفي الضيق ليحلّق في فضاءات بلاغية رحبة. وسنسعى في هذا البحث إلى استعراض هذه المعاني تباعًا، مستضيئين بنماذج شعرية مختارة من الديوان —على سبيل الإبانة لا الحصر— للكشف عن تلك التجليات الدلالية وأبعادها البلاغية.

١- **النفي:** وذلك عندما تجيء لفظة الاستفهام للنفي، لا يطلب العلم بشيء كان مجهولا (عتيق، ٢٠٠٤م، صفحة ٨١). يقول الشاعر من البحر الطويل: (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٤٠)

فيا ورد أمتعنا بطيبٍ وبهجةٍ فأنت لتشبيه الحبيب حبيبُ

وروّح قلوبَ العاشقين وحبها وهل لُقيت للعاشقين قلوبُ

يوظّف الشاعر أداة الاستفهام (هل) في غير معناها الأصلي، إذ لا يروم جوابًا تصديقيًا، بل يجعلها وسيلةً إنشائيةً للتقرير والنفي معًا. فالمقصود من قوله(وهل لُقيت للعاشقين قلوب) هو نفي امتلاكهم قلوبًا، لما ذاب منها تحت وطأة الوجد أو فُقد في سبيل المحبوب. بهذا يغدو الاستفهام أداة بلاغية تتجاوز حدّها النحوي، فيُستثمر لإبراز المفارقة بين ظاهر الإنشاء ومقصده النفسي، ويكشف عن طاقة وجدانية تُضاعف الأثر الجمالي في المتلقي، أنَّ(في الاستفهام تحركا للفكر وتنبيها للعقل، وحثا على النظر والتأمل. وهذا هو الفرق بين النفي الصريح وبين النفي عن طريق الاستفهام). (بسيوني، صفحة ٢٠) ومنه قوله الشاعر من البحر الطويل: (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٦٤).

خليليَّ هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولىً تمشّى إلى العبد.

الاستفهام في هذا السياق يُستثمر خارج حدّه الأصلي، إذ لا يُراد به طلب جواب، بل يُوظَّف لتقرير حقيقة تُفيد النفي المقرون بالتعجب. فقول الشاعر إنّ المخاطَبين لم يُبصروا ولم يسمعوا بأكرم من المولى يرسّخ نفي وجود نظير لهذا الكرم، ويكشف في الوقت نفسه عن اندهاشه من مبادرة المولى إلى زيارة عبده. وبهذا يغدو الاستفهام أداة بلاغية تتجاوز وظيفتها النحوية، لتؤدي دورًا إنشائيًا يُرسّخ المعنى في ذهن المتلقي ويُضاعف من قوّة التأثير الشعري.وفي قوله من البسيط (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٥٢)

مَن ذا رأى قمراً قد لاح في ظلمٍ ويلاً على قمر في الليل لوّاحِ

الاستفهام ب(مَن ذا) يُستثمر هنا في دلالة نفيٍ ضمنية، تُفيد أنّه لا أحد رأى مثل هذا القمر البهيّ المتلألئ في الظلام، بما يُبرز تفرد المحبوب في جماله وضيائه. وبهذا يتحول الأسلوب إلى صيغة مدحية تفضيلية، تُرسّخ معنى التفرّد واللا مثيل، وتُضاعف من الأثر البلاغي والجمالي في النص الشعري.

٢- **الإنكار**

إذ يخرج الاستفهام عن معنى الطلب إلى معنى استنكار وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر (الجرجاني، ١٩٨٤م) ، ومن لوازم الاستفهام الإنكاري هذا أن يكون المستفهم عنه غير واقع ، أو أن يكون مدعيه كاذبا. يقول الشاعر من المتقارب (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ١٧٩)

أأظمأُ في منهل من نداك وغيري يُعَلُّ ولم أنهلِ

هذا الاستفهام ذروة الموقف البلاغي في النص، إذ خرج عن وظيفته الأصلية في طلب العلم ليُصبح أداةً إنشائية غايتها الإنكار الممزوج بالتعجب. فهو ينفي إمكان وقوع "الظمأ" في حضرة "المنهل" الذي هو مورد جود المحبوب، ليُبرز المفارقة بين الامتلاء والحرمان، وبين العطاء والصدّ، فالاستفهام هنا وسيلة بلاغية مركّبة تُضاعف من أثر النص الجمالي والنفسي. وفي قوله من الكامل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٧٩)

ما ذا السوادُ سوادُ شعرٍ إنما هذا كتابٌ للفنونِ مزوَّرُ

يقوم هذا البيت على غرض الإنكار؛ إذ يوظّف الشاعر الاستفهام لنفي أن يكون السواد شعرًا عاديًا، ثم يقدّم في العجز جوابًا إنكاريًا صريحًا يقرّر حقيقة مغايرة بقوله: "إنما هذا كتابٌ للفنون مزوَّر". وهكذا يتكامل الاستفهام والجواب في بناء دلالي واحد، يرسّخ وظيفة الاستفهام الإنكاري الذي يقترن غالبًا بجواب مباشر يتضمن النقيض، وهو ما تجلّى هنا بوضوح.وفي قول الشاعر من الوافر (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٨٥)

فكيف وقد رأيناه كذوباً يجيء بكل بهتانٍ وكفر.

الغرض البلاغي هنا هو (الإنكار الإبطالي)؛ إذ يوظف الشاعر الاستفهام الاستنكاري لنفي إمكان تصديق من ثبت كذبه وبهتانه، فيتحوّل السؤال ذاته إلى حُجّة منطقية لإفحام الخصم أو الوشاة، وبذلك ينتقل من دائرة الوجدان إلى مجال البرهان العقلي الجدلي، مؤكّدًا فاعلية الأسلوب الاستفهامي في تجاوز حدوده النحوية إلى وظيفة بلاغية راسخة.

٣-الإثبات والتقرير

هو استفهام يقصد به حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا ونفيًا، وغالبا ما يكون المقرر به تالياً لهمزة الاستفهام (الزركشي، ١٩٥٧م، صفحة ٣٣٣/٢) نحو قوله من البسيط (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٧٠)

وكم ببذل الندى أحيا المحامد أو فكم برغم العدى أردى الصناديدا

الشاعر هنا لا يسأل عن "عدد" المرات التي بذل فيها الممدوح الندى أو هزم الأعداء، بل يستخدم الصيغة الاستفهامية لتقرير واقع مفروغ منه. هو يقرّ بوقوع الفعل ويثبته في ذهن المتلقي،، ليجعل البذل والانتصار حقائق مفروغًا منها ومثله قول الشاعر من البسيط (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٧٤)

كنت أبكي من هجر يوم بيوم كيف إذ صار هجر شهر بشهر

الشاعر هنا لا يوظّف الاستفهام بوصفه أداةً لتحصيل المعرفة، بل يحوّله إلى وسيلةٍ بلاغيةٍ تُرغم المخاطب على الإقرار بذكرياتٍ راسخةٍ لا تقبل النفي.

٤- التعجب:

العُجب والعَجب إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده (ابن منظور، ١٤١٤هـ، صفحة ١٣٧/٢)، وتعجبت منه، واستعجبت منه كعجبت منه (الفيروزآبادى، ٢٠٠٥م، صفحة ١١٢)، وهو انفعال النفس عما خفي سببه (الجرجاني ع.، ١٩٨٣م، صفحة ٦٢)، قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب. منه قول الشاعر من الكامل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٢٨)

نفسُ المُحِبِّ دَواؤها في دائها ونعيمُها هو من مكان شقائها

فمتى يكون شفاؤها من سقمها وسقامُها هو من مكان شفائها

فالشاعر هنا لا يسأل عن موعد زمني محدد ينتظر فيه الإجابة، بل يعبر عن مفارقة مؤلمة وحالة من اليأس الممزوج بالتعجب؛ فكيف يرجو الشفاء من المرض (الحب) بينما يكمن المرض في ذات المكان الذي يُفترض أن يأتي منه الشفاء؟ هذا النوع من الاستفهام يسمى استفهاماً خرج عن معناه الحقيقي ليؤكد استحالة الحدوث أو التعجب من حال المحب الذي أصبح دواؤه هو نفسه سبب دائه.

وفي قوله أيضاً من مجزوء الرمل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٨٤)

أشموسٌ أم بدور أم عيونٌ أم ثغورُ

يُوظّف الشاعر أداة الاستفهام (الهمزة + أم المعادِلة) الاستفهام هنا لا يُراد به تعيين أحد المذكورات أو طلب جواب محدّد، بل يُوظَّف لإبراز حالة من التذبذب الجمالي؛ إذ إنّ الموصوف من شدّة حسنه يلتبس على الرائي: أهو شمس في إشراقه، أم بدر في تمامه، أم عيون في سحرها؟ هذا التعدد الاستفهامي لا يُقصد به الاستقصاء، بل يُستثمر في خدمة المبالغة البلاغية، حيث يُصوَّر الحسن على أنّه جامعٌ لخصائص الجمال كلّها، فلا ينحصر في صورة واحدة، بل يتوزّع بين صور متعدّدة تتكامل لتؤكد فرادة الموصوف وتضاعف من أثره الجمالي في نفس المتلقي.

٥- التعظيم:

وهو ضد التحقير، أي إظهار عظمة ورفعة شأن ما دخله الاستفهام (السكاكي، ١٩٨٧م، صفحة ١١٤) . والدلالة على ما يتحلى به المسؤول من صفات حميدة كالشجاعة والكرم والسيادة والملك وما أشبه ذلك، ومن الاستفهام الذي يخرج للتعظيم قول الشاعر من البسيط (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٩٧)

وأيّ شيء أقود القلب عنك به وقائداه إليك السمع والبصرُ

فالاستفهام في البيت الشعري خرج إلى غرض المجازي وهو التعظيم ، إذ يُستخدم لإبراز استحالة وجود وسيلة تُبعد القلب عن المحبوب، فيتحول إلى صيغة بلاغية تُظهر عظمة سلطان المحبوب على وجدان الشاعر، وهو ما ينسجم مع ما قرره البلاغيون من أن الاستفهام قد يُستعمل لإظهار العجز أو الاستحالة، فيُصبح أداة للتفخيم والتعظيم. ومن قوله أيضاً من الطويل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ١٠٠)

أخدّاكَ وردٌ أم ثناياك جوهرُ وصدغاك مسك أم عذارك عنبرُ

فالشاعر هنا يوظّف أداة الاستفهام لا بغرض التحقق من حقيقة مادّة الخد أو الثنايا، بل ليُضفي عليها صفات القداسة والجمال. فاختياره لألفاظ مثل الجوهر والمسك والعنبر يندرج في إطار رفع شأن الموصوف، إذ يجعل ملامحه تتردّد بين أبهى عناصر الطبيعة وأثمن النفائس. ويُرسِّخ هذا الاستفهام في ذهن المتلقي وجود تلك الصفات فعلاً، غير أنّها بلغت من شدّة الحسن حدًّا يدفع العقل إلى التساؤل عن ماهيتها. وهكذا يتحوّل السؤال من أداة طلب إلى وسيلة إثبات غير مباشر، تُعلي من قيمة الموصوف وتؤكد فرادته الجمالية.

٦- الاستبعاد

ومعناه عد الشيء بعيداً، والفرق بين الاستبعاد" و "الاستبطاء": أن "الاستبعاد" متعلقه- أي: ما يرتبط به غير متوقع، أما "الاستبطاء" فما يتعلق به متوقع وإن تأخر، والمستفهم يتطلع إلى وقوعه ومجيئه، وقد خرج الاستفهام لهذا الغرض في ديوان الخُبزَ أُرزي، من مجزوء الكامل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٢١٠)

لم أدرِ بعد فراقِهِ كيف التلذُّذ بالوسَن

فالشاعر لا يسأل عن (كيفية) أو (طريقة) النوم من الناحية المادية، بل يستبعد وقوع (اللذة) بالنوم بعد فقيد فارقه. ف "كيف" هنا تشير إلى استحالة اجتماع نقيضين في وجدان الشاعر: (مرارة الفراق) و(عذوبة الوسن). ومن قوله من الكامل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٢٨)

فَمَتَى يَكونُ شِفاؤُها مِن سُقْمِها وَسَقامُها هُوَ مِن مَكانِ شِفائِها

يوظّف الشاعر أداة الاستفهام «متى» التي تُستعمل في أصلها لتعيين الزمان، غير أنّها هنا قد خرجت عن معناها الحقيقي لتؤدي وظيفة بلاغية مغايرة. فالسؤال لا يراد به انتظار جواب يحدّد وقتًا محدّدًا للشفاء، بل يُراد به استبعاد إمكان وقوعه. ويتجلّى هذا المعنى من خلال المفارقة التي صاغها الشاعر في عجز البيت؛ إذ كيف يُتصوَّر حصول الشفاء إذا كان مصدر الداء .وهو المحبوب . هو نفسه الموضع الذي يُرتجى منه الدواء؟ إنّ هذا الجمع بين النقيضين يجعل زمن الشفاء في حكم المستحيل، ويحوّل الاستفهام إلى أداة إنكارية تُبرز المفارقة وتُكثّف أثرها في نفس المتلقي.

٧-التحسر

ومن التحسر قوله من المنسرح (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ١١٤)

كيف احتيالي والهوى مالكٌ والقلب مُنقادٌ إلى أمرِهِ

يستعمل الشاعر أداة الاستفهام (كيف) التي تُوظَّف في أصلها للسؤال عن الحال، غير أنّها هنا قد خرجت عن معناها الحقيقي لتؤدي وظيفة بلاغية أعمق. فالاستفهام لا يراد به طلب تعليم الحيلة أو الكشف عن كيفية التخلّص من الهوى، بل يُراد به إعلان العجز والتحسّر وإثبات استحالة الفكاك من ربقة الحب. وقد عزّز الشاعر هذا المعنى بتعليل مزدوج في الشطر الثاني، حيث قرّر أنّ الهوى مالكٌ والقلب منقاد، وهما حالان يُغلقان كل منفذ للخلاص. وفي قوله من الوافر (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٢١٩)

أيحسن يا حبيب بأن تراني أُصافيك الوداد وتجتويني

يتضمن هذا البيت استفهامًا حقيقيًا في ظاهره لكنه ينطوي على توجع وتألم عميقين، إذ يستنكر الشاعر بأسلوب رقيق أن يتركه حبيبه في هذه الحال، والهمزة هنا ليست للاستفهام الحقيقي بل لاستدرار العطف وإبراز الحسرة.

٨-التردد والحيرة

معناهما القلق والحيرة اللتان تجبران الشاعر، على التلوين والتغيير في موقفه في لحظات القلق والخوف. كما في قوله من الطويل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ١٤٥)

تحيَّرت لا أدري أأرضى بما أرى فأكمد أم أجفو الحبيب فأتلَفا

يُعدّ عنصر الحيرة والتردّد الغرض المهيمن في هذا البيت الشعري، وقد مهّد له الشاعر بتصديره بلفظة تحيَّرتُ التي تكشف عن اضطراب داخلي. فالاستفهام الوارد لا يُراد به استدعاء جواب من المخاطَب بنفي أو إثبات، بل يُوظَّف بوصفه انعكاسًا لصراع نفسي بين خيارين كلاهما مُرّ. ومن

ثمّ فإن السؤال لا يُطرح لطلب المعرفة، وإنما يُستثمر كأداة بلاغية للتعبير عن العجز عن اتخاذ القرار، وإبراز مأزق الذات في مواجهة مفارقة وجودية لا مخرج منها.

٩- التوبيخ

وهو: لوم المخاطب بشدة على فعل أو ترك فعل، على سبيل الزجر والتأديب، و يستفهم به عن شيء حاصل، ومدعيه صادق في الاستفهام عن أمر موجود دميم وفاعله يستحق التوبيخ ، ومثله في قوله الطويل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ١٤٦)

أأحمدُ لِم تخلِف فإنك خائفٌ ولن يُعذر الغدّارُ إلا ليُخلِفا

يُوظَّف الاستفهام في هذا الموضع بوصفه أداة للتوبيخ، لا لطلب معرفة أو استدعاء جواب، إذ يوجّه الشاعر خطابه إلى (أحمد) ليُحمّله مسؤولية إخلاف الوعد ويضعه في موقفٍ أخلاقي حرج. ومن ثمّ يتحوّل السؤال إلى وسيلة بلاغية للتقريع والزجر، تُظهر البعد التأديبي للنص وتُرسّخ دلالته الأخلاقية.وفي قوله من مجزوء الكامل (الخُبزَ أُرزي، ٢٠١٥م، صفحة ٥٦)

يا أهل من أهوى رضيتم لابنكم أن تبصروه قاتلاً لمُوَحِّدِ

الغرض هو الإنكار والتوبيخ على تقدير همزة استفهام محذوفة (أرضيتم؟)، وهو حذف شائع لتحقيق الإيجاز البلاغي؛ إذ يُوجَّه الخطاب إلى أهل المحبوب لتعنيفهم على قبولهم أن يكون ابنهم سببًا في فناء المحب المخلص، فيتحوّل الاستفهام إلى أداة تقريع ضمني تكشف عن استهجان الشاعر لموقفهم.

الخاتمة

أظهرت الدراسة الموسومة بـ (الاستفهام في ديوان الخُبزَ أُرزي دراسة بلاغية)، بعد استقصاء الشواهد الشعرية وتحليلها، إلى مجموعة من النتائج التي يمكن إجمال أبرزها فيما يأتي:

١- تمكّن الشاعر من الأدوات البلاغية: أثبت البحث أنّ نصر بن أحمد الخُبزَ أُرزي يمتلك ذوقاً بلاغياً رفيعاً، وقدرة متميّزة على توظيف الأساليب الإنشائية، وفي مقدّمتها الاستفهام، توظيفاً فنياً يخدم مقاصده الشعورية ويثري أبعاد تجربته الجمالية. وقد دلّ ذلك على أنّ الأداة الإنشائية عنده لا تُستعمل في معناها الأصلي فحسب، بل تتحوّل إلى وسيلة بلاغية فاعلة في بناء الصورة الشعرية وتكثيف الأثر الفني.

٢- أوضحت الدراسة أنّ ديوان نصر بن أحمد الخُبزَ أُرزي يُشكّل مصدراً ثرياً للشواهد البلاغية، إذ اتّسم بوفرة النصوص وتنوّعها بما يجعله مادة خصبة للتحليل البلاغي. وقد تكاملت فيه أساليب الاستفهام لتُكوّن نسيجاً بيانياً متماسكاً، يعبّر عن خصوصية التجربة الشعرية للشاعر ويكشف عن قدرته على بناء خطاب بلاغي متداخل المستويات، يجمع بين الدلالة الشعورية والوظيفة الجمالية في آن واحد.

٣- أبرزت الدراسة أنّ استفهامات نصر بن أحمد الخُبزَ أُرزي تكشف عن تداخلٍ واضح بين الثقافة والموهبة؛ إذ تجلّت من خلالها سعة ثقافته الشعرية وقدرته على استحضار المعاني العميقة رغم بساطة مهنته وظروف معيشته. ويعكس هذا التوظيف ذكاءً لغوياً لافتاً، استطاع به أن يحوّل الاستفهام إلى أداة بلاغية تُظهر عمق التجربة الشعرية وتؤكد أنّ الموهبة حين تتكئ على رصيد ثقافي واسع تُنتج خطاباً فنياً متماسكاً ومؤثراً .

٤- تميّز استفهام الخُبزَ أُرزي بقدرته على عكس(صدق شعوري وذاتي)، إذ تحوّل إلى مرآة لقلقه وعاطفته الجياشة، خاصة في الغزل والشكوى، فخرج من معناه الأصلي إلى دلالات بلاغية متنوّعة كالتعجّب والتحسّر والنفي، مما أضفى على النص عمقاً وجدانيّاً مؤثّراً.

٥-أثبتت الدراسة أنّ كثرة الأساليب الإنشائية وتنوّع خروجها عن مقتضى الظاهر في ديوان الخُبزَ أُرزي تُشير إلى امتلاك الشاعر أداةً تعبيرية فنية رفيعة، مكّنته من صياغة شعر يتّسم بالعذوبة والرشاقة، ويملك القدرة على شدّ انتباه السامع وتعميق المعنى في آن واحد..

٦-أظهرت الدراسة أنّ شعر نصر بن أحمد الخُبزَ أُرزي اتّسم بما يُعرف بـ (السهولة الممتنعة)؛ إذ استطاع أن يعبّر عن تجاربه الحياتية بألفاظ سلسة بعيدة عن التكلّف والتعقيد، فجاءت استفهاماته قريبة من لغة الحياة اليومية، لكنها محمّلة بطاقة شعرية كثيفة أضفت على النصوص عذوبة وعمقاً فنياً في آن واحد .وفي ختام هذه الدراسة، يوصي الباحث بضرورة الالتفات إلى دواوين الشعراء الذين غلب عليهم طابع (السهل الممتنع)، وفي مقدّمتهم الخُبزَ أُرزي، وإعادة قراءة نتاجهم في ضوء النظريات البلاغية والنقدية الحديثة، لما تحمله نصوصهم من لآلئ فنية كامنة تستحق الكشف والتحليل . إنّ هذه هي أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث، فإن أصاب فذلك ما يرجوه الباحث، وإن فات شيئاً فحسبه أجر المجتهدين. والحمد لله أولاً وآخراً على فضله ونعمه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

١-ابو منصور محمد بن أحمد الهروي الأزهريي. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

٢-أبو القاسم نصر بن أحمد بن مأمون الخُبزَ أُرزي. (٢٠١٥م). ديوان الخُبزَ أُرزي، تحقيق أحمد حلمي حلوة (المجلد ١). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣-أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي. (١٩٥٧م). البرهان في علوم القرآن (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٤-أحمد بن فارس ابن فارس. (١٩٧٢ م). مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (المجلد ٢). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٥-أحمد مطلوب. (٢٠٠٦م). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (المجلد ١). دار العربية للموسوعات.

٦-الجرجاني. (١٩٨٤م). دلائل الإعجاز (المجلد ٣). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.

٧-الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري. (بلا تاريخ). الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم. القاهرة، مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

٨-د. بشير العتوي. (٢٠٠٤م). الخُبزَ أُرزي ، حياته وماتبقى من شعره،. مجلة الجامعي، صفحة ٣٠٣.

٩-سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني. (٢٠٠١م). المطول في شرح تلخيص المفتاح للسكاكي.

١٠-عبد العزيز عتيق. (٢٠٠٤م). علم المعاني. القاهرة: دار الآفاق العربية.

١١-عبد الفتاح فيود بسيوني. (بلا تاريخ). علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني (المجلد ٢). القاهرة، مصر: مؤسسة المختار.

١٢-علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني. (١٩٨٣م). التعريفات (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

١٣-لويس معلوف. (١٩٥٦م). المنجد في اللغة والادب والعلوم (المجلد ١٥). بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

١٤-مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. (٢٠٠٥م). القاموس المحيط (المجلد ٨). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥-محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني. (بلا تاريخ). الإيضاح في علوم البلاغة (المجلد ٣). بيروت، لبنان: دار الجيل.

١٦-محمد بن مكرم بن على ابن منظور. (١٤١٤هـ). لسان العرب (المجلد ٣). بيروت: دار صادر.

١٧-يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي. (١٩٨٧م). مفتاح العلوم. بيرون، لبنان: دار الكتب العلمية.

المراجع باللغة الإنجليزية

1. Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad. (2001). Tahdhib al-Lugha [Refining of the Language]. Edited by Muhammad 'Awad Mar'ib. (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
2. Al-Khubzaruzzi, Abu al-Qasim Nasr ibn Ahmad. (2015). Diwan al-Khubzaruzzi [The Poetic Works of al-Khubzaruzzi]. Edited by Ahmed Hilmi Helwa. (Vol. 1). Egyptian General Book Authority.
3. Al-Zarkashi, Abu Abd Allah Badr al-Din Muhammad ibn Bahadur. (1957). Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an [The Proof in the Sciences of the Qur'an]. (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya (Issa al-Babi al-Halabi & Co.).
4. Ibn Faris, Ahmad ibn Faris. (1972). Maqayis al-Lugha [Standards of the Language]. Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun. (Vol. 2). Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Printing and Publishing Company.

5. Matloub, Ahmad. (2006). Mu'jam al-Mustalahat al-Balaghiyya wa Tatawwuruha [A Dictionary of Rhetorical Terms and Their Development]. (Vol. 1). Dar al-Arabiyya lil-Mawsu'at.
6. Al-Jurjani, Abd al-Qahir. (1984). Dala'il al-I'jaz [The Proofs of Inimitability]. (Vol. 3). Cairo, Egypt: Al-Khanji Library.
7. Al-Askari, Abu Hilal al-Hasan ibn Abd Allah. (nd). Al-Furuq al-Lughawiyya [Linguistic Distinctions]. Edited and annotated by Muhammad Ibrahim Salim. Cairo, Egypt: Dar al-Ilm wa al-Thaqafa for Publishing and Distribution.
8. Al-Atwi, Bashir (PhD). (2004). "Al-Khubzaruzzi: His Life and Extant Poetry." Al-Jami'i Journal , p. 303.

9. Al-Taftazani, Sa'd al-Din Mas'ud ibn Umar. (2001). Al-Mutawwal fi Sharh Talkhis al-Miftah lil-Sakkaki [The Detailed Commentary on Sakkaki's Summary of the Miftah].
10. Atiq, Abdel Aziz. (2004). 'Ilm al-Ma'ani [The Science of Meanings/Semantics]. Cairo: Dar al-Afaq al-Arabiya.
11. Basyouni, Abdel Fattah Fayoud. (nd). 'Ilm al-Ma'ani: A Rhetorical and Critical Study of Semantic Issues . (Vol. 2). Cairo, Egypt: Al-Mukhtar Institution.
12. Al-Sharif al-Jurjani, Ali ibn Muhammad. (1983). Al-Ta'rifat [The Book of Definitions]. (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
13. Ma'louf, Louis. (1956). Al-Munjid fi al-Lugha wa al-Adab wa al-'Ulum [Al-Munjid in Language, Literature, and Sciences]. (15th ed./Vol. 15). Beirut: Catholic Press.

14. Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub. (2005). Al-Qamus al-Muhit [The Encompassing Ocean Dictionary]. (Vol. 8). Beirut, Lebanon: Al-Risala Foundation for Printing, Publishing, and Distribution.
15. Al-Qazwini, Muhammad ibn Abd al-Rahman (Al-Khatib). (nd). Al-Idah fi 'Ulum al-Balagha [The Clarification in Rhetorical Sciences]. (Vol. 3). Beirut, Lebanon: Dar al-Jil.
16. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukram. (1414 AH). Lisan al-Arab [The Tongue of the Arabs]. (Vol. 3). Beirut: Dar Sadir.
17. Al-Sakkaki, Yusuf ibn Abi Bakr. (1987). Miftah al-'Ulum [The Key to the Sciences]. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.